# جَزِيرَةُ النُّورْ

للشاعر محمد السيد شريف

إلى القادمين من بعيد يحدو الشوق خطاهم صوب البيت العتيق

جزيرةَ النورِ لبَّى ركبُنَا السَارى   وحركَ الوجدُ أنغامى وأُوتارِى
وجئتُ أنشقُ عِطرًا شدَّ راحلتى   عَبرَ السنين ورَوَى نفحُه دارى
ياكم رحلتُ بوجدانى ، وكم ضَرَبت   فى الطين ساقى فما أُبصرتُ تسيارى
وضلنى الأمن فى دنيا على يدها   مِن ظلم أجيالِنا ، آثارُ أظفارِ
إليكِ بعد الدجى وجهتُ قافلتى   وتوجَ اللهُ بعد اليأسِ أسفارِى
دعى المَشُوقَ إلى الصحراءِ يلثمهَا   ويمنح الرملَ سُقيا دمعةِ الجارى
دعى جبينى على أرضٍ بها خَطَرت   خُطى النبوّةِ أرض الوحى والغار
أنا المتيَّمُ يا بطحاءُ ، فاستمعى   إلى وجيبى وذوقى صِدقَ أشعارى
وعانقينى عناقًا ينتهى ظمئى   على ثراكِ وتخبو جذوةُ النَار
لا تُنكرِينى ، فما غنَّيتُ مِن زمنٍ   ولا تحركَ بالأشواق قيثارى
ولا تقولى ، خطايا الأمسِ تثقله   وتخنقَ اللحنَ فى أنفاسِ مزمارى
لولا ذنوبى لمَا هرولتُ ملتمسًا   صفحًا بركنكَ من برٍّ وغفار
لولا الخطايا لما طوفتُ معتقدا   أنى طرحتُ على الأعتاب أوزارى
ياقابلَ التوبِ كم مستغفرٍ ثقلت   ذنوبُه جاء يبغى حُرمة الجَار
ضمته كعبتكَ الغرَّاءُ وانفتحت   له السماءُ ، وكم تمحو يدُ البَارى
وعبَّ ـ بعد طوافٍ ، تشتهى قدمى   لو ظلّت العُمرَ فى تيارِه الجارِى

من زمزم الطهر طابت عينُ كعبتنا   كم رَطبتْ بالنقى أنفاسَ أطهار
من مائها البُرءُ والإرواءُ ما نضبت   منكِ المياه ، ولاضنَت بأسرارِ
مازلتِ تسقينَ كم من حاجةٍ قضيت   وكم سقيم مضى من غير أوضار
يامنكرَ الله سل بئراً هنا منحت   من مائها الناسَ كم جادت بمليار
لوأن عقلا هنا أحصَى مواردَها   وقارَنَ البئرَ - مذ كانت - بأنهار
لأدركَ اللهَ في تفجير أنعُمهِ   على الورَى من خِلال الصخر والنار

...

لاتنكريني . أنا السَّاعي على قدمي   مِن مروةٍ للصفا - المُستسلم العاري
خلعتُ ثوبي ، وجئتُ اليوم لن تجدي   زَيفَ الحياة ، أطِلّ دون منظار
أنا ابنُ آدمَ ، لاتاجٌ يعظمني   ولاالباسٌ به أمتاز عن جارى
الكلُّ القى عن الأجسادِ زُخرفها   وَجاء مستسلما يعنو لجبّار
هذى المُساواةُ .. مَن ذا يدّعي كذبا   أنّا استعرنا نفاياتٍ لأفكار ؟
من قبل ألفٍ غرسناها بتُربتِنا   وامتدّ إشعاعُها الهادِي لأقطار
لاتنسبوا النورَ ظلما إنه ألَقي ..   ونبع ديني ، وميراثٌ لأبرار ..
لبيكَ هذى منى طابت ملامحُها   كم داعبت بالسنا وجدانَ أمصار
لبيكَ يارَبُّ هذى أرضُها اتسعت   وعانقتنا ، فما ضاقت بزُوار

...

ودّعتُ بالدمع ياربّاهُ تربتَها   لِوقفةٍ ترتجي في ظل غفار
منها سَرينا جيوشا ، وحَدت يدُه   لواءَ عُبادِها عزّت خطى السّارى
انظر إلينا .. وقفنا .. كلّنا أملٌ   ندعوكَ بيضًا ، وسودِ الجلدِ كالقار
شدّت رؤانا جبالُ النور ، واتسعت   رحَابةُ الصفح أميالاً لأبصار

أُحس أن السما تنساب دعوتُنا    منها اليكَ فتمضي دون أسوار
وأسمع الآن نجوى أنفُسٍ وقفت    مقبولة التوب نالت عفو قهَّار
إن لم أنلها هنا، والعُمر قد عصفت    ريحُ الخريفِ به فاصفرَّ يا عاري
ربَّ الوجود رحمنا شدَّ ساعدنا    كُرهٌ لمن ضلَّ أو أغرى بإصرار
هذي السواعدُ باركها فقد رفضت    بالرجمِ ما حاكه تضليلُ غرَّار
كأنَّ كل حصاةٍ لعنةٌ لحقت    طريدَ جنَّةِ المتكبرِ الضاري

...

وَغدتُ أمضي خفيفَ الخطو ما ثقلت    كالأمسِ ساقي .. لهديٍ ثم مختار
نحرتُه فديةً، لم تخفَ حكمتُها    على البصيرِ، ولم تعبأ بانكار ..
الله اكبر، ما أسمى شريعتنا    تعطي وتسخو، ولا ترضى باعسار ..
لا جائعَ اليوم حول البيت قد شبعت    كلُّ البطون ورقَّ الجارُ للجار ..

...

يا بيتُ عُدنا .. أعزَّ الله كعبتنا    نرجو الإفاضة بارك ركبنا الساري
ما ضقتَ بالركب لم تسأل قوافلَه    عن أصلها، لم تسلها بعدُ عن دار
طُفنا نناجيكَ يا الله ما اختلفت    رغم اختلاف اللُّغَى نجوى لِزُوّار ..
عظمتُ وجهك ربَّ البيت ما سجدت    هذي الجباهُ، وضاعت صولة الغار
وآمن الناسُ أنَّ الطينَ منبتَهم    هذا الثرى أخٌ للمُعدمِ العاري

...

يا حكمة الحج، لم يخفَ السنا أبدًا    من يطفئ الشمس؟ هذا زيغ إبصار ..
ربِّ انتهينا وودَّعنا هنا حرمًا    والشوق في أضلعي يطفو كاعصار ..
لم تشبع الروح بعدَ الحجِّ ما برحتُ    نفسي تتوق ودمعي هائم جار ..
أدعوكَ أدعوكَ يا توابُ مغفرةً    تقي حجيجكَ يوم الهول من نار ..

شعر : محمد السيد شريف    إدارة كليات البنات